نشأة علم الأنثروبولوجيا ومراحل تطوره :

يعتبر هذا العلم من أقدم العلوم على وجه الأرض، وابتدأ عن طريق النظر والتأمل. على سبيل المثال يقال إن المؤرخ الإغريقي هيرودوتس هو "أبو الأنثروبولوجيا" لدقته العالية في وصف أجساد (السينيين) وتكوينها، وكذلك وصفه لقدماء المصريين وغيرهم. أما الروماني "تاكيتس" فقد كتب دراسة مشهورة عن القبائل الجرمانية).

الأنثروبولوجيا كعلم مدرس هو حديث نسبياً، بدأ التدريس به منذ قرن ونيف، وتعد نهاية القرن الثامن عشر نقطة البداية لهذا العلم، وفي القرن التاسع عشر بدأت كتب الأنثروبولوجيا القديمة في الظهور في أمريكا وأوروبا، كما ظهرت في الوقت ذاته المدارس التي تعنى بهذا العلم، كـــ المدرسة التطورية ومدرسة القانون المقارن، ومن الأسماء الضخمة والتي ساهمت بإثراء هذا العلم وتدريسه جيمس فريزر، وراد كلف براون، ، والبوت سميث وغيرهم من عباقرة الأنثروبولوجيا، بالإضافة المؤلفات ضخمة بهذا الشأن ومدارس مهمة أثرت هذا العلم وجعلته من أهم العلوم التي تدرس.

تعريف الأنثروبولوجيا العضوية الطبيعية أو الفيزيقية

تعرف بوجه عام، بأنها العلم الذي يبحث في شكل الإنسان من حيث سماته العضوية، والتغيرات التي تطرأ عليها بفعل المورثات. كما يبحث في السلالات الإنسانية، من حيث الأنواع البشرية وخصائصها، بمعزل عن ثقافة كل منها. وهذا يعني أن الأنثروبولوجيا العضوية، تتركز حول دراسة الإنسان / الفرد بوصفه نتاجاً لعملية عضوية، ومن ثم دراسة التجمعات البشرية / السكانية، وتحليل خصائصها. وتهتم هذه الدراسة بمجالات ثلاثة هي :

المجال الأول : ويشمل إعادة بناء التاريخ التطوري للنوع الإنساني، ووصف (تفسير) التغيرات التي كانت السبب في انحراف النوع الإنساني، عن السلسلة التي كان يشترك بها مع صنف الحيوانات الرئيسية .

المجال الثاني : يهتم بوصف (تفسير) التغيرات البيولوجية عند الأحياء من الجنس الإنساني. وتمتد هذه الأبحاث لتشمل : العلاقة الكامنة بين التركيب البيولوجي من جهة، والثقافة والسلوك من جهة أخرى.

المجال الثالث : وهو تخصص هام في علم الأنثروبولوجيا العضوية، ويبحث في الرئيسات : علاقاتها مع بيئاتها، تطورها، سلوكها الجماعي.

ومن أجل إعادة بناء التاريخ التطوري للإنسان، يعمل علماء الأنثروبولوجيا الطبيعية – أحياناً. ما يعتبره غالبية الانثروبولوجيين العمل الأكثر سحراً في الأنثروبولوجيا العضوية، وهو البحث عن المستحاثات، ولا سيما تلك التي تتعلق بالنوع الإنساني، وبأسلافه من الرئيسات التي وجدت من قبله Daniel

ويستخدم مصطلح الأنثروبولوجيا الطبيعية (العضوية) للإشارة إلى ذلك العلم الذي يهتم بدراسة الجانب العضوي (الحيوي) للإنسان، منذ نشأته كنوع حيواني على سطح الأرض، وقبل فترة زمنية تزيد على ثلاثة ملايين سنة ونيف، وحتى الوقت الحاضر الذي نعيش فيه.

إن الموضوع الأساسي في الأنثروبولوجيا العضوية هو الاختلاف البيولوجي الذي يطرأ على الكائن الإنساني في الزمان والمكان .. والشيء الذي ينتج غالبية هذه الاختلافات، هو اتحاد المقومات الوراثية مع البيئة .. فثمة تأثيرات بيئية لها صلة

مباشرة بهذا الموضوع، مثل : الحرارة، البرودة، الرطوبة، أشعة الشمس، الارتفاع، والمرض .... وهذا التركيز على اختلاف الكائن الإنساني عن غيره من الرئيسات، يضم خمسة تأثيرات محددة تدخل في سياق الأنثروبولوجيا العضوية، وهي :

١-نشوء الكائن الشبيه بالإنسان، كما تم الكشف عنه من خلال التقارير التي نجمت عن البحث في المستحاثات (الأنثروبولوجيا القديمة).

٢-التركيب الوراثي للإنسان .

٣-نمو الإنسان وتطوره .

٤- المرونة الموجودة في بيولوجيا الإنسان قدرة الجسم على التكيف مع ضغوطات، مثل : الحرارة، البرودة، درجة حرارة الشمس ..)

٥- التركيب البيولوجي وما يتبعه من عملية النشوء والسلوك والحياة الاجتماعية للسعادين (القردة)، والحيوانات الأخرى من فصيلة الرئيسات.

٦-ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الألمان يعتبرون / يوهان بلومينياخ / المؤسس الأول للأنثروبولوجيا الطبيعية. فهو من الرواد في دراسة الجماجم البشرية، كما أنه قسم الجنس البشري إلى خمسة أقسام (سلالات) ، هي : القوقازي المغولي، الأثيوبي الأمريكي والملاوي .

ولكي نستطيع أن نفهم الإنسان كنتاج لعملية عضوية، يجب أن نفهم تطور أشكال الحياة الأخرى، بل وطبيعة الحياة ذاتها، وكذلك خصائص الإنسان القديم والإنسان الحديث .. وقد استطاع هذا العلم – من هذه المنطلقات – أن يجيب عن العديد من التساؤلات ، التي كانت موضع اهتمام الإنسان وتفكيره منذ القديم وحتى العصر الحاضر.